

نموذج المجتمع المسلم



1- خصائص المجتمع المسلم في القرآن:

أ- الوسطية:

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة / 143).

- أُمَّة الإسلام أُمَّة الاعتدال والتوازن، والمجتمع الإسلامي مجتمع الوسطية، وقد أهلت هذه السمة المجتمع المسلم أن يكون (حجّة) و(معيّاراً): حجّة على الأمم المتطرّفة، ومعيّاراً يُرجع إليه في معرفة ما هو الاعتدال وما هو التطرّف.

والشهادة في الآية شهادتان: شهادة الأُمَّة المتوازنة في توسُّطها على سائر الأُمَّم، وشهادة النبي (ص) على أُمَّته في ضبط حركة سيرها لئلا تشذَّ أو تشطَّ عن التوسُّط في مركزيّتها. وبذلك يمكن ضمان وسيطة المجتمع الإسلامي ذاتياً وموضوعياً، كما يمكن محاكمة الأُمَّم المغالية في تطرُّفها بالنموذج الإسلامي الذي ينبذ التطرُّف بكل أشكاله، ويعتمد الوسيطة في شتّى مناحي الحياة. قال سبحانه: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَلْجَأَ الرُّسُلُ إِلَىٰ شَهِيدٍ عَلَيْهِمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج / 78).

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران / 110).

الأُمَّة المسلمة خير الأُمَّم، لأنَّها أنفع الناس للناس، فالإخراج بما ينطوي على إرادة ربَّانية كان لأجل الإنسانية ورفداً لمصلحتها، ووجه الخيرية في أُمَّة الإسلام هو الإيمان العملي ممثلاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حين كانت الأُمَّم السابقة لا تتناهى عن منكر فعلته، ولا تتداعى لمعروف تأخذ به.

ت- الاستقامة:

قال تعالى: (فَاسْتَقِيمُوا كَمَا أُمِرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكُمْ وَلَا تَطْغَوْا إِنْ زَرْتُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَةٌ * وَلَا تَرَوْكَانُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (هود / 112-113).

الاستقامة هنا ليست منفصلة عن خطِّ الوسيطة لجهة ثباتها على الاعتدال والتوازن بقريئة قوله سبحانه: (وَلَا تَطْغَوْا) و(وَلَا تَرَوْكَانُوا).

كما أنّها ليست منفكّة عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في عرضهما من المحافظة على استقامة الحياة في الدعوة إلى ما يُنمّيها ويُطوّرُها من الأمر بالمعروف، وما يُنقّصُها ويُخلّصها من التلوّث والشوائب والمفاسد في النهي عن المنكر.

ولا تكون استقامة لمجتمع ما إلا باستقامة قيادته، ولذلك جاء الذّيداء بالاستقامة موجّهًا للاثنين معاً: القيادة والقاعدة، بأن لا يتجاوزا حدودا [بإجفافٍ أو تجنٍّ أو طغيانٍ أو تطرّفٍ أو ميلٍ للانحراف نحو الظلم.

ث- الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلِلْتُمْ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَدِيْتَعُونَ فَصَلَا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضُوا أَنْتُمْ وَإِنْ حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنِّقَٰتِ وَالْوَعْدِ وَأَنْتُمْ وَاللَّيْلُ وَاللَّيْلُ * شَدِيدُ الْعِقَابِ * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمُّ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَاوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة/ 1-3).

ميزة المجتمع المسلم أنّهُ يفي بكلّ عقد وعهد بينه وبين ربّه، وبينه وبين سائر الناس والأُمم، أي إنّهُ إذا وعدَ وفى، وإذا آمنَ بصدقٍ أخذَ بما فُرضَ عليه في الكتاب من تكاليف وأحكام ومسؤوليّات، وعرف حدّه ووقف عنده، فلا يستحلّ حرّامات [ولا يتعدّى حدوده، أي شرائعه التي حدّها ورسمها لعباده، ولا يستحلّ قتال القاصدين إلى بيت [ولا يحملهُ بغض قوم كانوا قد صدّوهم عن المسجد الحرام أن يُقابلوا ذلك بالاعتداء عليهم، وهو مجتمع التعاون على البرِّ والتقوى والخيرات

والإصلاح والإحسان، ونبذ المفاصد والشور والمنكرات.

سمة المجتمع الإسلامي أنَّهُ مجتمع رباني يستمدُّ حقيقته وجوده، وزخم حركته، ونبل مقاصده من هدفه الأعلى وهو □ تبارك وتعالى.

ج- الهجرة والجهاد:

قال تعالى: (إِنَّ السَّادِّينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة/ 218).

إنَّ من بين سمات المجتمع الإسلامي أنَّهُ إذا ضاقت عليه الأرض في مساحة أو بقعة أو قطر، هاجر إلى مساحة أوسع ومجال أرحب، يُمارس فيهما دينه وطقوسه ودعوته إلى □، وينطلق منهما لجهاد أعدائه الذين نفوه من دياره أو كانوا سبباً في إقصائه وتشريده، ولذلك فالترابط بين (الهجرة) وبين (الجهاد) وثيق، فليست دار الهجرة دار سياحة واستراحة وسكون واستجمام، بل هي محطة للتزوّد بالوقود ريثما تحين فرصة مقارعة العدوّ وكسر شوكته وإعلاء كلمة □ في الأرض.

ولذلك كانت لهجة المسلمين مختلفة تماماً في خطابهم لنبيِّهم (ص)، ففي حين قال بنو إسرائيل لموسى (ع): إذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلَا إنّنا هاهنا قاعدون، قال المسلمون للرسول (ص): إذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلَا إنّنا معكم مُقاتلون.

إنَّ أبناء المجتمع المسلم يعرفون أنّ ثمة ضرائب إيمانية يتعيّن عليهم دفعها بالهجرة ومفارقة الأهل والأوطان من أجل الدِّين، وبالجهاد والتضحية من أجل الدِّين، أي أنّ دين المسلم أئمنٌ لديه من حياته.

ح- التوافر على المزايا والفضائل والخصائص العُليا:

قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفْرَانِ رُحَمَاءُ بِبَيْنِهِمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوَرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ

يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الفتح/ 29).

القيادة في المجتمع الإسلامي والقاعدة من سنخ واحد: أبرار، أختيار، متراحمون فيما بينهم، متعاونون، متكافئون، متضامنون، بعضهم أولياء بعض، يُظهرون لِمَنْ خالف نهج الله ودينه غلظة وشدّة وصلابة، يركعون ويسجدون في كثرة صيام وقيام، لأنّهم يرون أنّ المواجهة مع المصاعب والمتعصّبين تحتاج إلى شحن نفسي وروحي، وإلى شحذٍ للهَمَم في جنبات الميدان، ولذلك يصدق عليهم أنّهم (رهبان) في اللّيل و(فرسان) في النهار، ولهم نظراء في التّاريخ رصدتهم التوراة والإنجيل في الولاية في النصر لدينه، ولم يخلو تأريخ الرّسالات من نماذج مشرّفة قادت مجتمعاتها إلى سواحل العزّة والانعقاد.

إنّهم (عباد الرّحمن) الذين استحقّوا أن يُنسبوا إليه، فقال في صفتهم:

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُقِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِلْمُتَّقِينَ إِيمَانًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَاقَوْنَ فِيهَا تحييةً وسلامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) (الفرقان/ 63-76).

في المجتمع الإسلامي على اختلاف أوضاعه، على صعيد الحياة والإنسان، ليتفاعل الإيمان مع الواقع في عملية تزواج روجي وعملي يتحوّل فيه الإسلام إلى موقف.

- تُحدِّد سورة الحجرات أدب وأسلوب التعامل مع الآخر ورسوله، باحترامهما عند المخاطبة، وأن لا يتقدّم المجتمع المسلم باقتراحاته على الآخر ورسوله، فهما يتحرّكان ضمن برنامج دقيق لا يغفل عن تغطية حاجات المجتمع الصالح في مختلف الجوانب والاتجاهات.

وتدعو إلى وجوب التثبّت من شخصية المُخْبِر، وطبيعة الخبر قبل إصدار الحكم، وأن لا يقف المسلمون من موقف الصِّراع بين طائفتين من المسلمين موقف المتفرِّج، بل يتعيّن عليهما فصّ النزاع بالإصلاح والأساليب الدبلوماسية الحكيمة، وأن يُقاتلوا الفئة التي تصرّ وتستكبر وتبغى على الأخرى.

وتنهى عن أن يسخر بعض المسلمين من بعضهم الآخر مهما كانت دوافع السخرية، فما يدرهم لعلّ الذين يسخرون منهم هم أقرب عند الآخر منهم، وتنهى كذلك عن التعبير بالألقاب المُخجلة، وتدعو إلى اجتناب الكثير من سوء الظنّ، لأنّه يدعو إلى التجسّس، وهذا بدوره يقود إلى الاغتياب وتشويه صورة الإنسان المسلم في نظر الآخرين.

وسورة (الحجرات) تدعو المسلمين إلى أن يعيشوا الانفتاح على التنوّع البشريّ فيما قسم الآخر الناس إليه من شعوب وقبائل، ليكون ذلك أساساً للتعارف والتفاعل والتبادل الثقافي والعلمي والحضاري، بدلاً من أن يكون سبباً للنزاع والاحتراب والعصبية، وأن يؤكّدوا الإيمان كعمق للإسلام الذي ينتمي إليه المسلمون الذين يرون في الإسلام نعمة من الآخر عليهم لا منةً منهم على رسوله.

وباختصار، فإنّ سورة الحجرات بمضامينها الإدارية والتربوية والأخلاقية والعلاقاتية، تُمثّل صورة المجتمع الإيمانى الصالح، مجتمع الأخوة والتآخي. ►